١٠ ـ المعرفة والنكرة

المعرفةُ : إسمٌ دلَّ على مُعيّنٍ . كعمرَ ودِمَشقَ وأنتَ .

والنكرةُ : إسمٌ دلَّ على غير مُعيّنٍ : كرجلٍ وكتابٍ ومدينةٍ .

والمعارفُ سبعةُ أنواعٍ : الضميرُ والعَلمُ وإسمُ الإشارة والإسمُ الموصولُ والإسمُ المقترنُ بِـ (أل) والمضافُ إلى معرفة والمنادى المقصودُ بالنداءِ .

(وقد تقدم الكلام على الضمير والعلم وإسم الإشارة والإسم الموصول . وإليك الكلام على المقترن بأل والمضاف إلى معرفة والمنادى المقصود بالنداء) .

المقترن بأل

المقترنُ بألْ : إسمٌ سبقتهُ (ألْ) فأفادتهُ التعريفَ ، فصارَ معرفةً بعد أن كان نكرةً . كالرجل والكتاب والفرَس .

و (ألْ) : كلُّها حرفُ تعريفٍ ، لا اللاَّم ، وحدها على الأصحّ . وهمزتُها همزةُ قطعٍ ، وُصلت لكثرةِ الإستعمال على الأرجح .

وهي ، إما أن تكون لتعريفِ الجنس ، وتسمى الجنسيَّةَ . وإما لتعريفَ حصّةٍ معهودةٍ منهُ ، ويُقال لها العَهْديّةُ .

ال العهدية

(ألْ العهديةُ) : إما أن تكون للعهد الذِّكريّ : وهي ما سبقَ لمصحوبها ذكرٌ في الكلام ، كقولكَ : « جاءني ضيفٌ ، فأكرمت الضيفَ » أي : الضيف المذكور . ومنه قولهُ تعالى : ﴿ كما أرسلنا إلى فِرعونَ رسولاً ، فعصى فرعونُ الرسولَ ﴾ .

وإما أن تكون للعهد الحُضوريّ : وهو ما يكونُ مصحوبُها حاضراً ، مثل : « جئتُ اليومَ » ، أي : اليومَ الحاضرَ الذي نحن فيه .

وإما أن تكون للعهد الذهنيّ : وهي ما يكونُ مصحوبُها معهوداً ذِهناً ، فينصرفُ الفكرُ إليه بمجرَّدِ النُّطقِ به ، مثل : « حضرَ الأميرُ » ، وكأن يكون بينك وبينَ مُخاطَبك عهدٌ برجلٍ ، فتقول : « حضر الرجلُ » ، أي : الرجلُ المعهودُ ذِهناً بينك وبين من تخاطبه .

أل الجنسية

(ألْ الجنسيّةُ) : إما أن تكون للإستغراقِ ، أو لبيانِ الحقيقة .

والإستغراقيّةُ ، إما أن تكون لإستغراق جميعِ أفرادِ الجنس . وهي ما تَشملُ جميعَ أفرادِه ، كقوله تعالى : ﴿ وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً ﴾ ، أي : كلُّ فردٍ منه .

وإما لإستغراق جميعَ خصائصهِ ، مثل : « أنتَ الرجلُ » ، أي : اجتمعت فيكَ كلُّ صفاتِ الرجال .

وعلامةُ (ألْ) الإستغراقية أن يَصلُحَ وقوعُ (كلٍّ) موقعَها ، كما رأيت .

و (ألْ) ، التي تكونُ لبيانِ الحقيقة : هي التي تُبينُ حقيقة الجنس وماهيّته وطبيعتَه ، بقطعِ النظرِ عمّا يَصدُقُ عليه من أفراده ، ولذلكَ لا يصحُّ حلولُ (كلٍّ) مَحلَّها . وتسمى : « لامَ الحقيقةِ والماهيّةِ والطّبيعية » ، وذلكَ مثل : « الإنسانُ حيوانٌ ناطقٌ » ، أي : حقيقته أنهُ عاقلٌ مدركٌ ، وليس كلُّ إنسانٍ كذلك ، ومثل : « الرَّجلُ أصبرُ من المرأة» ، فليس كلُّ رجلٍ كذلك ، فقد يكون من النساءِ مَن تفوقُ بِجَلدِها وصبرها كثيراً من الرجال . فألْ هُنا لتعريف الحقيقة غيرَ منظورٍ بها إلى جميع أفرادِ الجنس ، بل إلى ماهيَّته من حيثُ هي .

واعلم أنَّ ما تصحبُهُ (أَلْ) الجنسيةُ هو في حُكم النكرةِ من حيثُ معناهُ ، وإن سبقتهُ (أَلْ) ، لأن تعريفهُ بها لفظيٌّ لا معنويٌّ : فهو في حُكم عَلم الجنس ، كما تقدَّمَ في فصل سابق .

وأما المُعرّفُ بِـ (أَلْ) العهديّةِ ، فهو معرَّفٌ لفظاً ، لإقترانه بأَلْ ، ومعنىً ، لدلالتهِ على مُعَيّنٍ .

والفرقُ بينَ المعرَّف بِـ (أَلْ) الجنسيّةِ وإسمِ الجنس والنكرة ، من وجهين معنويٌّ ولفظيٌّ .

أما من جهة المعنى ، فلأنَّ المعرَّفَ بها في حكم المُقيَّد ، والعاريَ عنها في حكم المُطلق .

(فإذا قلت : « احترم المرأة » ، فإنما تعني امرأة غير معينة ، لها في ذهنك صورة معنوية تدعو إلى احترامها . ولست تعني مطلق امرأة ، أي امرأة ما ، أية كانت صفتها وأخلاقها ، وإذا قلت : « إذا رأيت امرأة مظلومة فانصرها » فإنما تعني مطلق امرأة ، أية كانت ، لا امرأة لها في نفسك صفتك ومميزاتها) .

وأما من جهة اللفظِ ، فلأنَّ إسمَ الجنس النكرةَ نكرةٌ لفظاً ، كما هو نكرةٌ معنىً . والمعرَّف بِـ (أَلْ الجنسيةِ) نكرةٌ معنىً ، معرفةٌ لفظاً ، لإقترانه بأَلْ . فهو تَجري عليه أحكامُ المَعارف : كصحة الإبتداءِ مثل : « الحديدُ أنفعُ من الذَّهب » ، ومجيءِ الحال منه ، مثل : « أكرم الرجلَ عالماً عاملاً » .

وإذا وَصلَ مصحوبُ (أَلْ) الجنسية بجملةٍ مضمونُها وصفٌ له جاز أن تجعلها نعتاً له ، باعتبار أنه نكرةٌ معنىً وأن تجعلها حالاً منه باعتبار أنه مُعرَّف بأَلْ تعريفاً لفظياً . ومن ذلك قولُ الشاعر :

ولقد أمُرُّ على اللَّئيمِ يسُبُّني فمضيْتُ ، ثُمَّت قلْتُ : لا يعنيني

وقولُ أبي صخرٍ الهُذَليّ :

وإنِّي لَتَعروني لـذِكْـراكِ هِـزَّةٌ كَما ٱنْتَفَضَ ٱلْعُصفورُ بَلَّلَهُ ٱلقَطْرُ

ومثلُ المعرَّف بألْ الجنسيةِ ما أُضيف إلى المعرَّف بها كقول لبيدِ بنِ رَبيعة :

وتُضيءُ في وَجْهِ ٱلظَّلامِ مُنيرةً كجُمانةِ ٱلبَحْرِيِّ سُلَّ نِظامُها[1]

(فيجوز في جملة (يسبني) أن تكون نعتاً للئيم ، وفي جملة (بلله القطرُ) أن تكون نعتاً للعصفور ، وفي جملة (سُلّ نظامها) أن تكون نعتاً لجمانة البحري . باعتبار أن مصحوب (ألْ) الجنسية في معنى النكرة . ويكون التقدير في الأول : على لئيم سابٍ إياي ، وفي الثاني : « كما انتفض عصفور بلل القطر إياه » . وفي الثالث : « كجمانة بحري مسلول نظامها » . ويجوز أن نجعل هذه الجمل حالاً من المذكورات ، باعتبار تعريفها اللفظي ، لأنها محلاّة بألْ الجنسية . ويكون التقدير : « على اللئيم ساباً إياي » ، وكما انتفض العصفور بالاً القطر إياه : « وكجمانة البحري مسلولاً نظامها ») .

(أل) الزائدة

قد تُزادُ « ألْ » ، فلا تُفيدُ التّعريفَ :

وزيادتُها إما أن تكون لازمةً ، فلا تُفارِقُ ما تَصحَبُه ، كزيادتها في

---

(١) وجه الظلام : أوله . وكذا وجه النهار . و « الجمانة » : واحدة الجمان : وهو حب من الفضة يعمل على شكل اللؤلؤة . وقد يسمى اللؤلؤ نفسه جماناً كما هنا . فإنه أراد بالجمانة اللؤلؤة البحرية نفسها . لأنه أضافها إلى البحري الذي يغوص عليها فيستخرجها . و (النظام) : الخيط ينظم فيه اللؤلؤ ونحوه . يصف الشاعر بقرة وحشية بأنها يشرق لونها ليلاً كلما تحركت . كما تشرق اللؤلؤة انقطع سلكها فسقطت . وإنما وصف اللؤلؤة بذلك ، لأنها إذا انقطع خيطها فسقطت كانت أضوأ وأشرق بسبب حركتها .

الأعلام التي قارنت وضعَها : كاللاّتِ والعُزَّى والسَّمَوْأَلِ واليَسعِ[1] ، وكزيادتها في الأسماءِ الموصولة : كالذي والتي ونحوهما ، لأن تعريفَ الموصولِ إنما هو بالصلة ، لا بألْ على الأصحّ . وأما « الآن » فأرجحُ الأقوالِ أن « ألْ » فيه ليستْ زائدةً ، وإنما هي لتعريفِ الحُضور ، فهي للعهدِ الحضوريّ . وهو مبنيٌّ على الفتح ، لتضمُّنه معنى إسمِ الإشارة ، لأنَّ معنى « الآنَ » : هذا الوقتُ الحاضرُ .

وإما أن تكون زيادتُها غيرَ لازمة ، كزيادتها في بعض الأعلام المنقولةِ عن أصلٍ لِلْمحِ المعنى الأصليّ ، أي : لملاحظةِ ما يَتضمَّنُهُ الأصلُ المنقولُ عنهُ من المعنى ، وذلك كالفضلِ والحارثِ والنُّعمان واليَمامةِ والوليدِ والرشيدِ ونحوها . ويجوزُ حذفُ « ألْ » منها .

وزيادتُها سَماعيّة ، فلا يُقال المُحمَّدُ والمحمودُ والصَّالحُ : فما وردَ عن العربِ من ذلك لا يُقاسُ عليه غيرُه .

(كذا قال النحاة . ولا نرى بأساً بزيادة (ألْ) على غير ما سمعت زيادتها عليه من الأعلام المنقولة عن اسم جنس أو صفة ، إذا أريد بذلك الإشارة إلى الأصل المعني فما جاز لهم من ذلك لمعنى أرادوه ، يجوز لنا لمعنى كالذي أرادوه . فيجوز لنا أن نقول فيمن اسمه صالح : « جاء الصالح » ، نلمح في ذلك معنى الصلاح في المسمى) .

وقد تُزادُ « ألْ » اضطراراً ، كالداخلةِ على علمٍ لم يُسمع دُخولها عليه في غير الضَّرورة . كقول الشاعر :

رأيتُ ٱلـوَليدَ بنَ ٱليـزيدِ مُبـارَكاً شَديداً بأَعباءِ ٱلخِلافةِ كاهِلُهُ[2]

---

(١) اللات والعزى : علمان على صنمين كانا يعبدان في الجاهلية . و (السموأل واليسع) : علمان على رجلين .

(٢) كذب الشاعر ، فلم يكن الوليد هذا كما وصفه ، وإنما كان خليعاً ، فاسقاً ، متهتكاً ، سلعا -

فأدخلَ « ألْ » على (يَزيد) لضرورة الشعر ، وهي ضرورة قبيحة ، وكقول الآخر :

ولَقَدْ جَنَيْتُكِ أكْمُؤاً وعَساقِلاً ولَقَدْ نَهَيْتُكِ عَن بَناتِ ٱلأَوْبَرِ[1]

وإنما هي : بناتُ أوبَرَ ، وكالدَّاخلةِ على التمييز . كقوله :

رأَيتُكَ لَمّا أَنْ عَرَفْتَ وجُوهَنا
صَدَدْتَ ، وطِبْتَ ٱلنَّفْسَ يَا قَيْسُ عَنْ عَمْرِو

والأصلُ : « طِبتَ نَفْساً » ، لأن التمييز لا يكونُ إلَّا نكرة .

(أل) الموصولية

وقد تكونُ (ألْ) إسم موصولٍ ، بلفظٍ واحدٍ للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ، وهي الداخلة على اسم الفاعل واسم المفعول ، بشرط أن لا يُرادَ بها العهدُ أو الجنسُ ، نحو : « أكرِمِ المُكرِمَ ضيفَه ، والمُكرَمَ ضيفُه » . أي : الذي يُكرمُ ضيفَهُ ، والذي يُكْرَمُ ضيفُهُ .

فإن أُريدَ بها العهدُ ، نحو : « انصُرِ المظلومَ » ، كانت حرفَ تعريفٍ لا موصوليّة .

وإن كانت موصوليّة فَصِلَتُها الصفةُ بعدَها ، لأنها في قُوَّة الجملة ، فهي شِبهُ جُملةٍ : لدلالتها على الزمان ، ورفعِها الفاعلَ أو نائبَهُ ، ظاهراً أو مُضمَراً فالظاهرُ نحو : « أكرمِ المُكرِمَ أبوه ضيفَهُ[2] » والمُضمَر ، نحو : « أكرمَ المكرِمَ ضيفه[3] » .

= بالمخازي ، جباراً ، عنيداً ، لاهياً عن تدبير أمور الرعية وأحوال المملكة . وكان من خلفاء بني أمية وقد ذبح وعلق رأسه على قصره .

(١) العساقل : أصلها العساقيل ، ومفردها عسقول ، وهو نوع من الكمأة أبيض و (بنات أوبر) علم على نوع من الكمأة رديء .

(٢) أبوه : فاعل المكرِم . وضيفه مفعوله .

(٣) فاعل مكرِم ضمير مستتر تقديره هو يعود على (أل) الموصولية .

والإعرابُ إنَّما هو لِـ (أَلْ) ، فهي في محل رفع أو نصب أو جرّ ويظهر إعرابُها على صِلَتها ، وصِلتَها لا إعرابَ لها . والرفعُ والنصبُ والجرُّ اللَّواتي يلحقنها ، إنَّما هُنَّ أثرُ محلِّ (أَلْ) من الإعراب .

وإذْ كانت الصفةُ الواقعةُ صِلَةً لِـ (أَلْ) الموصوليَّةِ في قُوَّة الفعلِ ومرفوعه ، حَسُنَ عطف الفعلِ ومرفوعِهِ عليها . كقوله تعالى :

﴿ وٱلعادياتِ ضَبْحاً فَالمُورِياتِ قَدْحاً ، فالمُغيراتِ صُبْحاً ، فأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً[1] فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾ ، وقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلمُصَّدِّقينَ وٱلمُصَّدِّقات وأَقرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً[2] ﴾ .

(أما إن كانت الصفة المقترنة بأل صفة مشبهة أو اسم تفضيل أو صيغة مبالغة ، فألْ الداخلة عليها ليست موصولية . وإنما هي حرف تعريف ، لأن هذه الصفات تدل على الثبوت فلا تشبه الفعل من حيث دلالته على التجدد ، فلا يصح أن تقع صلة للموصول كما يقع الفعل) .

تعريف العدد بأل

إن كان العدَدُ مفرداً يُعرَّفُ كما يُعرَّفُ سائرُ الأسماءِ ، فيقال : « الواحدُ والإثنانِ والثلاثةُ والعشرة » .

وإن كان مركَّباً عدديًّا يُعرَّفُ جُزؤُهُ الأوَّلُ فيقال :

---

(١) الشاهد في الآية أنه عطف جملة (فأثرن » على « المغيرات » ، لأنها في قوة الفعل ، أي : اللاتي أغرن فأثرن . و« العاديات » : الخيل ، من عدا يعدو : إذا أسرع في مشيه . والمراد بها خيل الغزاة في سبيل الله . و« الضبح » : صوت أنفاسها عند الجري . و« الموريات قدحاً » : التي توري النار بقدحها الأرض بحوافرها وهي تعدو . و« المغيرات صبحاً » : التي يغير أهلها على الاعداء وقت الصبح . « فأثرن به » : فهيجن في ذلك الوقت ، وهو وقت الصبح . « نقعاً » : غباراً . فوسطن به جمعاً : فتوسطن في ذلك الوقت جمعاً ، من جموع الأعداء .

(٢) عطف جملة « واقرضوا » على المصدقين ، لأنه في قوة الفعل ، أي الذين تصدقوا وأقرضوا .

« الأحدَ عَشرَ والتِّسعةَ عشرَ » .

وإن كان مُركباً إضافياً يُعرَّفُ جُزؤُهُ الثاني ، مثل : « ثلاثةُ الأقلامِ ، وستَّةُ الكتبِ ، ومِئةُ الدّرهمِ ، وألفِ الدِّينارِ » ، وإذا تَعدَّدتِ الإضافةُ عرّفتَ آخرَ مضافٍ إليه ، مثل : « خَمسِ مئةِ الألفِ ، وسبعة آلافِ الدرهمِ ، وخَمس مِئةِ ألفِ دينارِ الرجلِ ، وستِّ مئةِ ألفِ درهمِ غُلامِ الرجلِ » .

وإن كان العددُ معطوفاً ومعطوفاً عليه يُعرَّفُ الجزآن معاً . كالخمسة والخمسينَ رجلاً ، والستَ والثمانينَ امرأةً .

(ومن العلماء من أجاز تعريف الجزأين في المركب الإضافي فيقول : « الثلاثة الرجال والمئة الكتاب ») .

المعرَّف بالإضافة

المُعرَّفُ بالإضافة : هو اسمٌ نكرةٌ أُضيف إلى واحد من المعارف السابق ذِكرُها ، فاكتسبَ التعريفَ بإضافته ، مثل : « كتاب » في قولك : « حملتُ كتابي ، وكتابَ عليّ ، وكتابَ هذا الغلام ، وكتابَ الذي كان هنا وكتابِ الرَّجلِ » . وقد كان قبل الإضافةِ نكرةً لا يُعرَفُ كتابُ من هو ؟ .

المنادى المقصود

المنادى المقصود : هو اسمٌ نكرةٌ قُصدَ تعيينُهُ بالنِّداءِ ، مثل : « يا رجلُ ويا تلميذُ » ، إذا ناديتَ رجلاً وتلميذاً مُعيَّنين . فإن لم تُرِدْ تعيينَ أحدٍ قلتَ : « يا رجلاً ، ويا تلميذاً » ، ويبقيانِ في هذه الحالة نكرتينِ ، لعدم تخصيصهما بالنداءِ .

فإن ناديتَ معرفةً فلا شأنَ للنداءِ في تعريفها .

* * *